

## الحلقة الأولى

رؤيا يوسف الصديق ﷺ

أبناء يعقوب يفكرون فى قتل أخيه يوسف  
يتحايلون على أبيهم ليذهب يوسف معهم  
يعقوب يخاف الذئب على يوسف

## الآيات القرآنية التي صيغ منها شعر الحلقة الأولى

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَكِّلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُمِينًا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ (١٤) ۞

## أشعار الحلقة الأولى

- ١ الله قَالَ مُحَدَّثاً فِي مُحَكَّمِ الذِّكْرِ الْمُبِينِ
- ٢ لِلْمُصْطَفَى الْهَادِي إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ
- ٣ عَنْ أَحْسَنِ الْقَصَصِ الَّتِي هِيَ عِبْرَةٌ لِلْعَالَمِينَ
- ٤ عَنْ يُوسُفَ الصَّدِيقِ مَعَ إِخْوَانِهِ الْمُسْتَهْزِئِينَ
- ٥ فَلَقَدْ رَأَى الصَّدِيقُ رُؤْيَا ، نَعَمَ رُؤْيَا الصَّالِحِينَ
- ٦ رُؤْيَاهُ تِلْكَ تَطَاوَلَتْ بِالذِّكْرِ بَيْنَ الْخَالِدِينَ
- ٧ فَلَقَدْ رَأَى شَمْساً وَقَمَراً مَعَ نَجُومٍ ظَاهِرِينَ
- ٨ الْكُلَّ قَدْ سَجَدُوا لَهُ حَقّاً سُجُودَ الْخَاضِعِينَ
- ٩ يَحْكِي رُؤَاهُ إِلَى أَبِيهِ مِنَ الشُّيُوخِ الطَّاعِينَ
- ١٠ الشَّيْخُ يَفْهَمُ أَنَّهَا صِدْقٌ مِنَ الْعِلْمِ الْمَكِينِ
- ١١ فَوَرَأً يَقُولُ لِيُوسُفَ الصَّدِيقِ ذِي الْعَقْلِ الْفَطِينِ !
- ١٢ لَا تَقْصُصْ الرُّؤْيَا عَلَى إِخْوَانِكَ الْمُتَعَتِّينِ
- ١٣ قَدْ يَحْقِدُونَ عَلَيْكَ فَاحْذَرْ بَطْشَةَ الْمُتَحَفِّزِينَ
- ١٤ لَا شَكَّ لِلشَّيْطَانِ نَزْعٌ فِي قُلُوبِ الْخَاقِدِينَ
- ١٥ هُوَ أَخْطَرُ الْأَعْدَاءِ لِلْإِنْسَانِ فِي الذِّكْرِ الْمُبِينِ (١)
- ١٦ وَلَسَوْفَ تَصْبِيحُ إِنْ يَشَاءَ رَبِّي مِنَ الْمُتَنَبِّئِينَ
- ١٧ وَتَقْسِرُ الْأَحْلَامَ ذَاكُمْ فَضْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
- ١٨ لَقَدْ اصْطَفَى الْأَبَاءَ قَبْلًا ، فِي عِدَادِ الْمُرْسَلِينَ
- ١٩ هُوَ فَضْلُ رَبِّ الْعَرْشِ يُعْطَى لِلْعِبَادِ الْمُخْلِصِينَ
- ٢٠ أَبْنَاءَ يُعْقُوبَ عَدُوا فِي أَلْسُنِ الْمُتَسَائِلِينَ
- ٢١ فِي شَأْنِهِمْ قَالَ الْإِلَهَ ، فَنَعَمْ خَيْرَ الْقَائِلِينَ
- ٢٢ قَالُوا لِبَعْضٍ حَيْثُ كَانُوا فِي حَدِيثِ هَامِسِينَ
- ٢٣ هَاكُمُ مَقَالَتُهُمْ فَبُشِّ مَقَالَةُ الْمُسْتَطَاوِلِينَ
- ٢٤ الشَّيْخُ فِيهِ ضَلَالَةٌ ، فَلَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ الْيَقِينَ

(١) في الذكر المبين : من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ سورة فاطر آية رقم ٦ .

- ٢٥ أَعْطَى لِيُوسُفَ حُبَّهُ وَأَخِيهِ مِنْ دُونِ الْبَنِينَ  
 ٢٦ أَعْطَاهُمَا حُبًّا وَقَدْ صِرْنَا جَمِيعًا مُهْمَلِينَ  
 ٢٧ هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ ظَلَمَ مِنْ أَبٍ فِي التَّابِهِينَ  
 ٢٨ إِنَّا نُرِيدُ عِقَابَهُ ، حَتَّى يَثُوبَ وَيَسْتَبِينَ  
 ٢٩ فَلَنَقْتُلَنَّ غُلَامَهُ حَتَّى نَكُونَ الْفَائِزِينَ  
 ٣٠ إِذَا مَا قَتَلْنَا حَبَّهُ يَهْدَأُ هَدُوءَ الْمُسْكِرِينَ  
 ٣١ وَنَفُوزِ بِالْحُبِّ الَّذِي لَمْ نَلْقَهُ طُولَ السِّنِينَ  
 ٣٢ وَلَسَوْفَ نَغْدُو بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِدادِ الصَّالِحِينَ  
 ٣٣ لَكِنْ أَكْبَرَهُمْ يَقُولُ ، وَكَانَ ذَا عَقْلٍ فَطِينُ :  
 ٣٤ لَا ، لَا أَوْافَقُكُمْ عَلَى قَتْلِ الْغُلَامِ الْمُسْتَكِينِ  
 ٣٥ يَا إِخْوَتَاهُ لَتَعْلَمُوا ، فَالْقَتْلُ فِعْلُ الْمَجْرِمِينَ  
 ٣٦ وَالرَّأْيُ عِنْدِي فَاسْمَعُوهُ ، وَلَا تَكُونُوا مُعْرِضِينَ  
 ٣٧ فِي قَعْرِ حُبٍّ أَنْزَلُوهُ ، وَعَنهُ عُودُوا قَافِلِينَ  
 ٣٨ بَعْضُ الْقَوَافِلِ عَلَيْهِمْ إِذَا مَا يَكُونُوا رَاحِلِينَ  
 ٣٩ إِنْ يَأْتِ وَآرِدُهُمْ ، فَسَوْفَ يَعُودُ بِالصَّيْدِ الشَّمِينَ  
 ٤٠ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الصَّوَابُ ، فَلَا تَكُونُوا جَاهِلِينَ  
 ٤١ كَيْفَ السَّبِيلُ لَكِي يَتِمَّ مُخَطَّطُ الْمَتَامِرِينَ ؟  
 ٤٢ جَاءُوا آبَاهُمْ فِي ثِيَابِ الْزَهْدِ كَالْمُسْتَبِيلِينَ  
 ٤٣ قَالُوا لَهُ قَوْلًا كَذُوبًا ، بِئْسَ قَوْمًا كَاذِبِينَ  
 ٤٤ لَمْ تَكُنْ تَشِقْ فِينَا ، فَلَسْنَا يَا أَبَانَا خَائِنِينَ  
 ٤٥ هَذَا أَخُونَا يُوسُفُ فِي الْبَيْتِ يَقْعُدُ كَالسَّجِينِ  
 ٤٦ أَرْسَلَهُ مَعَنَا صَحْبَةُ الْأَغْنَامِ نَغْدُو لِأَعْيُنِ  
 ٤٧ إِنَّا سَنَحْرُسُهُ ، وَسَوْفَ يَعُودُ عَوْدَ الْأَمِينِ  
 ٤٨ فَاجَابَهُمْ ، لَا تَأْخُذُوهُ ، أَخَافُ مِنْ غَدْرِ السِّنِينَ  
 ٤٩ الَّذِيبُ يَأْكُلُهُ ، وَأَخْشَى أَنْ تَكُونُوا غَافِلِينَ  
 ٥٠ قَالُوا لَهُ : هَذَا الْمَقَالُ يُسَيِّئُنَا فِي الْعَالَمِينَ  
 ٥١ تَالَهُ إِنْ يَأْكُلُ أَخَانَا الَّذِيبُ ، صِرْنَا خَاسِرِينَ  
 ٥٢ إِنَّا رَجَالُ أَفْوِيَاءُ نَقِيهِ شَرَّ الْكَاسِرِينَ  
 ٥٣ كَذَبُوا لَقَدْ خَانُوا الْأَمَانَةَ ، لَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ

## القرآن أحسن القصص

﴿الَّتِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ

عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ...﴾

اللَّهُ قَالَ مُحَذِّثًا فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْمُبِينِ ١  
لِلْمُصْطَفَى الْهَادِي إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ ٢  
عَنْ أَحْسَنِ الْقَصَصِ الَّتِي هِيَ عِبْرَةٌ لِلْعَالَمِينَ ٣

هذه الأحرف المقطعة .. ألف .. لام .. راء ، في أول السورة ، هي رموز وإشارات لا يعلم تأويلها إلا الله ، ثم الراسخون في العلم .. تلك آيات الكتاب .. هذه هي آيات القرآن الكريم .. المبين .. الواضح الجلي ، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ، ويفسرهما ويبينها .

إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا .. وذلك لأن لغة العرب هي أفصح اللغات ، وأبينها وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعاني .. فلهذا أنزل أشرف الكتب ، بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل ، بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وابتدى ، إنزاله في أشرف شهور السنة ، وهو رمضان .. هذا قول المفسر الكبير ابن كثير .. وأضيف كان بدء نزوله في أشرف ليلة ، وصفت بأنها خير من ألف شهر ، هي ليلة القدر .

قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ... ﴾ .

الضمير « نحن » هو الله سبحانه وتعالى ، وفيه استدعاء للرسول الكريم ، ومدانة له من ربه ، وتكريم لذاته ، صلوات الله وسلامه عليه ، بهذا الحديث الذي يتلقاه عن ربه بغير واسطة .

و﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ .. أصدق حديثاً ، وأشرفه غاية ، وأكرمه مقصداً ، وأقومه طريقاً ، وهو قصص القرآن الذي يقصه الله تعالى . القصص القرآني للأستاذ عبد الكريم الخطيب .

قال ابن كثير : فأكمل من كل الوجوه .. ولهذا قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يقص علينا المولى جلت قدرته ، في محكم آياته ، وذلك فيما أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ والخطاب موجه إلى الناس جميعاً من خلال خاتم الأنبياء وإمامهم .

يقص علينا أروع وأحسن القصص ، وأعجبها أيضاً ... لقد ذكرت قصص الأنبياء

فى القرآن الكريم ، إلا أنك تجد القصة الواحدة ذكرت متفرقة فى أكثر من سورة ، بحيث يتصور البعض ممن ليس لهم دراية بأساليب اللغة العربية ، أن تكرار القصة فى سورة بعد أخرى ، إنما هو تكرار لمعنى واحد ، وذلك ليس من البلاغة فى شيء . . !

والواقع أنه ليس كذلك ، فتكرار القصة فى سورة بعد أخرى ، له عدة أسباب منها :

الإضافة . . فالذى يذكر فى السورة الثانية ، لا يخلو من إضافة تزيد المعنى وضوحاً ، ومنها أيضاً تنويع الأسلوب : فأسلوب القرآن الكريم ، يتنوع من سورة لأخرى ، فلكل سورة من سور القرآن نظمها وموسيقاها وإيقاعها . . وهذا مما تفرد به القرآن الكريم ببلاغته التى تحدى بها الثقلين : الجن والإنس . . ومما يؤكد فضل القرآن بأسلوبه وقصصه ، وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما رواه جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبى ، فغضب وقال : « أمتهوكون - متحIRON - فيها يا ابن الخطاب . . ؟ ! والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لاتسألوهم عن شيء ، فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو يباطل فتصدقونه ، والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى . . » رواه الإمام أحمد فى مسنده .

## إخوة يوسف ليسوا أنبياء

﴿... بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ﴾ (٣)

عن يوسف الصديق مع إخوانه المستهترين ٤

إنها قصة يوسف الصديق ، مع إخوانه الذين أعماهم الحقد والحسد ، فانزلقوا إلى حضيض التفكير الإنساني .. كيف .. ؟!

لقد ركب الشيطان رءوسهم ، فزين لهم السوء فطاعوه ، فمن ثم ارتكبوا أسوأ وأشنع جريمة في تاريخ البشرية ، لقد أعادوا إلى الأذهان ، قصة قابيل مع أخيه هابيل ، تلكم هي أول جريمة وقعت على الأرض .

بيد أن جريمة أبناء يعقوب مع أخيه يوسف ، أشد بشاعة من جريمة قتل قابيل أخاه هابيل .. ذلك لأن قابيل كان واحداً لا شريك معه في تفكيره .. والشيطان يستطيع أن يلعب بالواحد وبالاثنين فقط ، لكنه لا يستطيع أن يلعب بالثلاثة فأكثر ، وذلك من واقع قول المعصوم محمد ﷺ حيث قال : « الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب » هذا في السفر إذ ينبغي أن يكون المسافرون في الصحراء أكثر من اثنين .. ولاغرو فالجماعة تبدأ من ثلاث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم ، القاصية » والذئب هنا هو الشيطان .

وإخوة يوسف كانوا عشرة رجال ، ليس واحداً ، أو اثنين ، أو ثلاثة ، بل كانوا عشرة ، أصغرهم قد ناهز الاحتلام ، قد أجمعوا كلهم على التخلص من يوسف ، وكان أصغرهم كلهم سناً ، ولا ذنب له إلا أن أباه قد أحبه ففضله على جميع أولاده ، وذلك لما فيه من المزايا .

إن أبناء يعقوب بصنيعهم الحقود مع أخيه يوسف ، قد خالفوا ما هو متعارف عليه من العقل والمنطق والعرف والشرع ، بأن الشيطان لا يستطيع أن يلعب بالجماعة .

وبما هو جدير بالذكر ، فإن أخوة يوسف ليسوا من الأنبياء ، إذ لا دليل لدينا ، ولا نص يؤكد نبوتهم ، وكيف يكونون أنبياء ، أولئك الذين فكروا في الجريمة ، بل وأتوها !!!

فمن المعروف أن الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها، ولا سيما عن الكبائر، وإخوة يوسف قد تلوثت أيديهم بالجريمة، بحقدهم على أخيهم يوسف لمكانته في قلب أبيه، والحقد لا يمكن أن يكون من صفات الأنبياء. إذن فلا حرج علينا في أن نطلق ألسنتنا عليهم، وأن نصفهم بما يستحقونه، من واقع سلوكهم الذي قصه علينا القرآن الكريم.

﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ إن رسول الله ﷺ ، كان غافلاً عن هذا الأمر ، لم يكن يتوقع أنه سيكون نبياً يوماً ما ، إلى أن فجأه الوحي على رأس الأربعين من عمره ، وهو في غار حراء .

﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ أى وإن الحال والشأن ، أنك كنت من قبل أن نوحى إليك هذا القرآن ، لمن الغافلين عن هذه القصة ، لم تخطر ببالك ، ولم تفرع سمعك ، لأنك أُميٌّ لا تقرأ ولا تكتب (١) .

﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ يريد من قبل أن نوحى إليك ، غافلاً عن قصة يوسف وإخوته ؛ لأنه ﷺ إنما علم ذلك بالوحي .

ومنهم من قال : المراد أنه كان من الغافلين ، عن الدين والشرعة قبل ذلك . كما قال تعالى : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [ الشورى : ٢٥ ] (٢) .

(١) مجلد ٢ ص ٤١ صفوة التفاسير .

(٢) مفاتيح الغيب تفسير الآية ٣٥ .

## الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَاجِدِينَ ﴾ (٤)

فَلَقَدْ رَأَى الصَّدِيقُ رُؤْيَا ، نِعَمَ رُؤْيَا الصَّالِحِينَ ٥  
رُؤْيَاهُ تِلْكَ تَطَاوَلَتْ بِالذِّكْرِ بَيْنَ الْخَالِدِينَ ٦  
فَلَقَدْ رَأَى شَمْسًا وَقَمَرًا مَعَ نُجُومٍ ظَاهِرِينَ ٧  
الْكُلَّ قَدْ سَجَدُوا لَهُ حَقًّا سُجُودَ الْخَاضِعِينَ ٨

يوسف الصديق ، يرى رؤيا منامية ، ونعم رؤى الصديق ، فالإنسان الصادق لا تكذب رؤياه ، ولا سيما الذين اصطفاهم الله من خلقه ، وهياهم لحمل أعباء الرسالة مثل : يوسف الصديق وأضرابه .

ومن المعلوم ، فرؤيا يوسف الصديق هذه ، قد بلغت من الشهرة التاريخية ، ما جعلها ماثلة فى الأذهان ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً يوسف الصديق ، بحيث عرفت به ، وهو قد عرف بها . . فماذا رأى يوسف الصديق . . ؟!

لقد رأى أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر، رأهم جميعاً قد سجدوا له . . يالله !! إنها لرؤيا تستحق الاهتمام من رائيها ، حتى وإن كان فتى صغيراً ، فكونه يرى الشمس والقمر ونجوماً محددة العدد ، هذه الكواكب العظيمة التى نراها فى السماء ، يراها غلام صغير فى رؤياه، تنهاوى فتسجد أمامه، إنه لأمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب !!

قال القرطبي فى تفسيره : « الرؤيا حالة شريفة ، ومنزلة رفيعة ، قال ﷺ : « لم يبق بعدى من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة الصادقة ، يراها الرجل أو ترى له » .

وقال : « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً » وحكم ﷺ بأنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » وروى : « من سبعين جزءاً من النبوة » وروى من حديث ابن عباس رضيهما : « جزءاً من أربعين جزءاً من النبوة » ومن حديث ابن عمر : « جزء من تسعة وأربعين جزءاً » ومن حديث العباس : « جزء من خمسين جزءاً من النبوة » ومن حديث أنس : « من ستة وعشرين » وعن عبادة بن الصامت « من أربعة وأربعين جزءاً من

النبوة» والصحيح منها الستة والأربعين ، ويتلوه في الصحة حديث السبعين . . . ولم يخرج مسلم في صحيحه غير هذين الحديثين .

وقال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى: اذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم ، من قصة يوسف ، إذ قال لأبيه ، وأبوه هو : يعقوب ﷺ كما قال الإمام أحمد :

عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : « الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » . مسند الإمام أحمد .

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾

« من هنا بداية القصة ، أى اذكر حين قال يوسف لأبيه يعقوب - والخطاب هنا لمحمد ﷺ - يا أبى إنى رأيت فى المنام هذه الرؤيا العجيبة ، رأيت أحد عشر كوكباً من كواكب السماء ، خرت ساجدة لى ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ أى ورأيت فى المنام الشمس والقمر ساجدة لى مع الكواكب » قال ابن عباس : كانت الرؤيا فيهم وحيًا ، قال المفسرون : الكواكب الأحد عشر كانت إخوته ، والشمس والقمر أبواه ، وكان سنّه إذ ذاك اثنتى عشرة سنة ، وبين هذه الرؤيا . واجتماعه بأبيه وإخوته فى مصر ، أربعون سنة « (١) .

## يوسف الصديق يقص رؤياه على أبيه

يَحْكِي رُؤَاهُ إِلَى أَبِيهِ مِنَ الشُّبُوحِ الطَّاعِنِينَ ٩  
الشَّيْخُ يَقْهَمُ أَنَّهَا صِدْقٌ مِنَ الْعِلْمِ الْمَكِينِ ١٠  
فَوَرَأً يَقُولُ لِيُوسُفَ الصَّدِيقِ ذِي الْعَقْلِ الْفَطِينِ ! ١١

فلما استيقظ يوسف فى الصباح من نومه، وكانت أحداث رؤياه لا تزال ماثلة فى ذهنه، تملأ وجدانه وعقله، فتوجه نحو أبيه، وألقى عليه تحية الصباح، ثم قال له: يا أبت! إنى رأيت فى منامى رؤيا عظيمة. رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر كلهم رأيتهم لى ساجدين. لقد قص يوسف رؤياه على أبيه، ونستطيع هنا أن نقول: إنه قص الرؤيا على أبيه وهو لا يدري ما معناها، ذلك لأنه كان صبياً صغيراً، لما يبلغ الاحتلام بعد... وهكذا يفعل الناس جميعاً، صغارهم وكبارهم.

فمن يرى رؤيا منامية، فإنه يبادر فيقصها على أهله، عساه أن يجد فيهم من يعبرها له، ذلك لأن الرؤى المنامية قديماً وحديثاً، يستشف الناس منها ما سوف يأتى به من الخير أو الشر. لقد قص يوسف الصديق رؤياه على مسامع أبيه، وكان ينتظر منه أن يعبرها له، فيطمئنه بكلمات تبشره، بأن خيراً سوف يصيبه، أو مستقبلاً حسناً ينتظره... قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه القيم: «القصص القرآنى»، «وتسرح عين يوسف فى وجه أبيه، ليرى على قسماته أثر هذا الحديث عنده، وتأويله الذى أوله بينه وبين نفسه، وهل هو مما يسر أو مما يسوء؟!».

لقد استمع يعقوب ولده يوسف، وهو يقص على مسامعه تلك الرؤيا العجيبة!! ولم لا تكون عجيبة؟! لقد كانت سبباً فى تغيير مجرى حياة يوسف، وبداية لرحلة عذاب طويلة قطعها يوسف، فى عديد من المحن، إلى أن انتهى به المطاف إلى المكانة المرجوة التى أعدها الله له، وقد كانت مخبوءة فى ضمير الغيب، بيد أن رؤياه أوحى بهذا.

لقد أدرك يعقوب أن رؤيا يوسف ولده، رؤيا صدق وإلهام، ولا يمكن أن تكون من أضغاث الأحلام التى تثيرها الخواطر والأفكار فى النوم، لا سيما خواطر غلام صغير كيوسف، الذى يخاف أبوه عليه من الذئب.

## يعقوب يحذر يوسف من إخوته

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ

مُبِينٌ ٥ ﴾ .

لَا تَقْصُصْ الرُّؤْيَا عَلَىٰ إِخْوَانِكَ الْمُسْتَعْتَبِينَ ١٢  
قَدْ يَحْقِدُونَ عَلَيْكَ فَاحْذَرْ بَطْشَةَ الْمُتَحَفِّزِينَ ١٣  
لَا شَكَّ لِلشَّيْطَانِ نَزْعٌ فِي قُلُوبِ الْحَاقِدِينَ ١٤  
هُوَ أَخْطَرُ الْأَعْدَاءِ لِلْإِنْسَانِ فِي الذِّكْرِ الْمُبِينِ ١٥

ظل يوسف ينتظر أباه ، بعد أن قص عليه رؤياه ليعبرها له ، وبينما كان يوسف ينتظر من أبيه تعبير رؤياه ، كان يجول بأفكاره هنا وهناك بحثاً عن معناها ، كان أبوه يعقوب في الوقت نفسه يجول بأفكاره في واد آخر ، ليس في مجال تعبير الرؤيا ، ولكنه في مجال آخر ، ذلك لأنه فهم معنى الرؤيا ، وبالتالي فهم ما سوف يترتب على تعبيرها . . لقد استشف من أحداث رؤيا يوسف ولده ، أنه سوف يكون نبياً رسولاً ، وسوف يكون ذا سلطان وجاه ، وسوف يسود أهله كلهم : أباه وأمه وإخوته .

فمن ثم خشى على يوسف ، أن يسمع إخوته رؤياه تلك ، فيفهموا منها ما فهمه هو ، فيحسدوه ويكيدوا لإهلاكه . . وبعد فترة صمت ، كان كل من يعقوب ويوسف ، يجول بفكره أثناءها في واد غير الذي يجول فيه الآخر ، قال يعقوب ليوسف :

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ ﴾ يوسف لم يصدق أذنيه حينما سمع أباه

يحذره أن يقصص رؤياه على إخوته ، لقد دهش يوسف من أبيه ، فبينما هو ينتظر منه تعبير رؤياه ، إذ هو ينهأه أن يقص رؤياه على إخوته . . وشتان ما بين ما كان يتوقعه يوسف ، وبين ما سمعه من أبيه ، إلا أن دهشته لم تطل ، لقد أردف أبوه قائلاً : ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ لا غرو أن الشيطان عدو للإنسان كما أخبر بذلك المولى عز وجل في محكم آياته ، ومن ثم فهو لا يدع فرصة تفوته لممارسة عداوته ، إنه أخطر الأعداء وألدهم لبني الإنسان ، لا يهنا له بال وهو يرى الإنسان مستقيماً ، مطيعاً عابداً مولاه ، يتمتع بالأمن والأمان مع كل من حوله . . أحب بني الإنسان إليه ، هو الذي لا يقيم لعبادة ربه وزناً ، ولا يلتمس إلى الخير سبيلاً .

وتأله لو قدر لأحد أن يطلع على سريرة إبليس ، لوجده يقهقه طرباً وسروراً ،  
وفى أسعد أحواله منذ أن خلقه الله ، ذلك لأنه قد حقق نصراً كبيراً بوسوسته لإخوة  
يوسف ، وملء صدورهم حقداً عليه . . أقول : فى أسعد أحواله لا لنجاحه فى  
الوسوسة إليهم فحسب ، ولكن لكون الموسوس إليهم من آل بيت النبوة ، من سلالة  
إبراهيم خليل الله !!!

« إن يعقوب يقول لابنه الحبيب بلاء فيه ، لا تقصص فهو ينهائى مباشراً صريحاً  
لا غموض فيه ولا إبهام ، بعدم قص رؤياه على إخوته . إنه لا يقول مثلاً :  
« يا بنى ، أرى ألا تقص رؤياك . . » فيكون ليوسف شىء من إبداء الرأى ، فى  
هذه المسألة ، إن كان له رأى .

ونحن نتساءل: لماذا لم يعط يعقوب ، ابنه يوسف فرصة المشاركة فى هذه المسألة ؟  
والجواب على ذلك أن يعقوب قد ثبت له بصفة أكيدة ، أن الإخوة لا يحبون يوسف .  
ولو قص عليهم رؤياه ، لتمادوا فى حسدهم ، وربما تورطوا مع يوسف ، فيما لا تحمد  
عقباه (١) .

(١) « تأملات فى سورة يوسف » مؤلفه الدكتور حسن محمد باجودة . رئيس قسم الدراسات العليا العربية ،  
جامعة الملك عبد العزيز .

## يعقوب يبشر يوسف بعد تحذيره

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ

كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

وَلَسَوْفَ تَصُبُّحُ إِنْ يَشَاءُ رَبِّي مِنَ الْمُسْتَبِثِينَ ١٦

وَتَفَسِّرَ الْأَحْلَامَ ذَاكُمُ فَضْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧

لَقَدْ اصْطَفَى الْآبَاءَ قَبْلًا ، فِي عِدَادِ الْمُرْسَلِينَ ١٨

هُوَ فَضْلُ رَبِّ الْعَرْشِ يُعْطَى لِلْعِبَادِ الْمُخْلِصِينَ ١٩

بعد أن نصح نبي الله يعقوب ، ولده يوسف وحذره قائلاً : لا تقصص رؤياك على إخوتك ، لقد كان يخشى عليه من إثارة حقدهم ، وكيدهم له . . استطرد قائلاً : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ... ﴾ أى إننى أتصورك يا ولدى ، سوف تكون ذا مكانة مرموقة بين الناس ، وسوف تكون نبياً مرسلأ بإذن الله ، وبالتالي سوف يمنحك الله علم تأويل الأحلام .

هكذا أتصور مستقبلك يا ولدى ، من وحى رؤياك ، وليس ذلك بعيداً على الله ، وبالتالي لن يكون بدءاً ، فنحن يا ولدى سلالة آباء كرام ، نحن آل بيت النبوة ، ولسوف يكرمك ربك ، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب جميعاً ، كما أتمها على أبويك من قبل وهما : إبراهيم خليل الله ، وإسحاق ولده نبي الله . . إذن فليس غريباً أن يعطيك الله مثل ما أعطاهما .

عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الناس أكرم ؟ ! قال : « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : « فأكرم الناس يوسف نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن خليل الله . . إلخ » الحديث أخرجه البخارى .

فأنت من تلك السلالة الطاهرة يا ولدى ، وفضل الله يمنحه للمخلصين من عباده ، ويوفقهم إلى الخير ، وينجيهم من كل مكروه ، ويأخذ بأيديهم عندما تظلم الرؤية أمامهم ، فيهديهم إلى الطريق القويم .

قال صاحب تفسير المنار: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ... ﴾

أى ومثل ذلك الشأن الرفيع والمجد البديع الذى تمثل لك فى رؤياك ، يجتبيك ربك لنفسه ، ويصطفيك على ألك وغيرهم ، فتكون من عباده المخلصين ، ويعلمك من علمه اللدنى ، تأويل الرؤيا وتعبيرها ، أى تفسيرها بالعبارة والإخبار بما تؤول إليه فى الوجود .

وقال القرطبى فى تفسير : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ ... ﴿ وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف ، وتعدد فيما عدده عليه من النعم التى آتاه الله تعالى ، من التمكين فى الأرض ، وتعليم تأويل الأحاديث ، وأجمعوا على أن ذلك فى تأويل الرؤيا ، قال عبد الله ابن شداد بن الهاد : كان تفسير رؤيا يوسف بعد أربعين سنة ، ذلك منتهى الرؤيا .

وقال ابن كثير فى تفسيره : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب لولده : إنه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب ، والشمس والقمر ساجدة لك ، كذلك يجتبيك ربك ، يختارك ويصطفيك لنبوته ، ويعلمك من تأويل الأحاديث ... يعنى تعبیر الرؤيا .

قال صاحب « تأملات فى سورة يوسف » : « لقد أدرك يعقوب ، بأن رؤيا يوسف ، لا يمكن أن تكون أضغاث أحلام ، على الرغم من أن يوسف غلام صغير السن حقاً ، وأن هذه الرؤيا ستعبر فى الحقيقة ، ولكن بعد وقت ما . وأن ابنه قد اصطفى لأمر عظام : بينها يعقوب فى القول على لسانه ، أى ومثل ذلك الاجتباء بالرؤيا الطيبة الصادقة . يجتبيك ربك ، بما تدل عليه هذه الرؤيا ، بالمنزلة الدينية العالية ، وليس وراء منزلة النبوة منزلة ، وبشيء من الملك أيضا » .

## للظواهر غايات لا تعلم حقائقها إلا منها

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُسَائِلِينَ ﴾ (٧)

أبناء يعقوب غدوا في السُّنِّ المسائلين ٢٠  
في شأنهم قال الإله ، فنعم خير السائلين ٢١  
قالوا لبعض حيث كانوا في حديث هامين ٢٢  
هاكم مقالتهم فيس مقالمة المتطاولين ٢٣

لقد كان في قصة يوسف مع إخوته عبر وعظات ، ومعان بعيدة المعنى على كثير من الأفهام ، فمن ثم صار الناس يتساءلون عنها ، وأبادر فأقول : إن سياق الآيات يوحى بأن قصة يوسف مع إخوته ، كانت معروفة لدى الذين تساءلوا عنها ، لكنهم ربما كانوا يجهلون تفاصيلها الدقيقة .. لذلك تساءلوا عنها .

ولا غرو فمن فاته العلم بشيء ، أو بحكمته ، أو بوجه العبرة فيه ، سأل عنه من هو أعلم به منه ، ذلك لأن للظواهر غايات ، لا تُعلم حقائقها إلا منها .. فإذا ما كشف الغطاء عن أسرارها ونتائجها ، وقف العقل أمامها منبهرًا .. والدليل على ذلك ، أن إخوة يوسف « لو لم يحسدوه ، لما ألقوه في الحب ، ولو لم يلقوه في الحب لما وصل إلى عزيز مصر ، ولولا وجوده في بيت عزيز مصر ، لما أحبته زليخا وروادته عن نفسه واستعصم ، ولما ظهرت نزاهته ، وعُرف شرفه ، ولو لم تخب امرأة العزيز وصواحبه في كيدهن ، لما ألقى يوسف في السجن ، ولم لم يسجن ، لما عرفه ساقى الملك ، ولما عرف براعته في تعبیر الرؤيا ، ولو لم يعلم الساقى منه هذا ، لما عرفه ملك مصر ، ولما جعله على خزائن الأرض ، ولو لم يتبوا هذا المنصب لما أمكنه أن ينقذ أبويه وإخوته وأهله أجمعين ، من المخمصة ، ويأتى بهم إلى مصر فشاركوه في رياسته ومجده ، بل لما تم قول أبيه له : ﴿ وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ﴾ فما من حلقة من حلقات هذه السلسلة ، إلا وكان ظاهرها محرقاً - شراً - وباطنها مشرقاً - خيراً - فهذه أنواع من آيات الله في القصة للسائلين عن وقائعها الحسية الظاهرة ، وما هو أعلى منها من علومها وحكمها الباطنة وهي : علم يعقوب بتأويل رؤيا يوسف ، وعلمه بكذب أولاده في دعوى أكل الذئب ، ومن شهادة الله له بالعلم ﴿ وإنه لدو علم لما علمناه ﴾

ومن شمه لريح يوسف منذ فصلت العير من أرض مصر قاصدة أرض كنعان « (١) .

لا يفوتني أن أقول : إن مجيء قصة يوسف مع إخوته ، تامة في سورة واحدة ، كان جواباً على تساؤلات وجهت لمحمد ﷺ ، وبدهى أن الجواب على أى سؤال ، يجيء متكاملأ ، لا متفرقأ .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في - القصص القرآني :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَلَكِّينَ ﴾ . « وهذا يعنى أن قصة يوسف جاءت جواباً على سؤال أو أسئلة ، وردت على النبى ﷺ من اليهود ، أو من المشركين بإيعاز من اليهود ، ويجوز أن يكون عرض القصة جواباً ، على أسئلة واقعة ، أو مفترضة أن تقع من الذين يطلبون العلم بأخبار الماضين ، ويبحثون عنها فى مظانها ، ويسألون كل من يحسبون عنده علم بها . . وها هو ذا القرآن الكريم ، قد جاء فى هذا بالحق كله ، لمن يطلب أنباء هذه القصة ، ويلتمس مواقع العبرة منها .

أما من أراد بالسؤال عنها ، الامتحان والتحدى ، فقد جاءه من الحق ما يخزيه ويفضح ضلاله وبهتانه ، وسوء ظنه » .

(١) السطور التى بين الأقواس من تفسير المنار للسيد رشيد رضا ج ١٢ بتصرف .

### أبناء يعقوب وصفوا أباهم بالضلال

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الرَّحْمَةِ الَّتِي أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِمَنِ الضَّلَالَةُ﴾ (٨)

الشيخ فيه ضلالة ، فلتعلموا العلم اليقين ٢٤  
أعطى ليوسف حبه وأخيه من دون البنين ٢٥  
أعطاهما حباً وقد صرنا جميعاً مهمكين ٢٦  
هذا لعمر الله ظلم من أب في النابهي ٢٧

جلس أبناء يعقوب، إخوة يوسف، الصديق الذين امتلأوا حقداً على أخيه يوسف، لا لذنوب جناه ، أو إساءة وقعت منه في حق أحد منهم .. بل لقد كان يوسف مثلاً أعلى في الأخلاق ، فمن ثم لم يكن له مع أحد منهم علاقة سيئة .

دار بينهم حديث هامس ، لقد كان موضوع الحديث الهامس ، هو : يوسف الصديق ، إنهم يتبادلون الآراء بشأنه ، فماذا كان حديثهم وهمسهم .. ؟ ! وعلى أي شيء اتفقوا .. ؟ ! لقد قرروا جميعاً أن أباهم ، رجل ضال .. والدليل على ضلاله ، تفضيله يوسف وأخاه الشقيق بنيامين علينا ، ونحن الأكثر عدداً ، الأكبر سناً ، الأقوى على تحمل المسؤوليات ، الأقدر على التكسب وحمل أعباء المعيشة .

فكونه يفضل يوسف وأخاه علينا بمزيد المحبة ، على صغرهما وقلة غنائمهما ، فهذا لعمر الله يعتبر انحرافاً واضحاً من أبينا في سلوكه ، إذ المفروض عقلاً أن يفضلنا نحن .. من واقع هذا الفهم القاصر العفن ، تناولوا فقالوا : ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١) إنه تائه عن الصواب ، ضال عنه ضلالاً بيناً ، وهل هناك ضلال بعد هذا ... ؟ !

هذا الحكم منهم على أبيهم ، يعتبر تجاوزاً ، لا شك في ذلك ، لأن أباهم منح يوسف وأخاه الأصغر ، حباً أكثر لا لذاتهما ، ولكن لأنهما أصغر أولاده ، وطبيعة الوالدين دائماً ، تمنح الأصغر حباً أكثر .. لقد سئل والد حكيم ، أي ولدك أحب إليك .. ؟ ! فقال : صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر ، ومريضهم حتى يشفى .

(١) قال القرطبي في تفسيره : لم يريدوا ضلال الدين ، إذ لو أرادوه لكفروا ، وإنما أرادوا أنه في خطأ بين في إيثار اثنين على عشرة .

لذلك . . فالدروس المستفادة من هذه القصة :

- ١- وجوب عناية الوالدين بمداواة حبيبهم الأكثر لبعض أبنائهم .
- ٢- تربية أبنائهم على المحبة والاحترام فيما بينهم .
- ٣- اجتناب تفضيل بعضهم على بعض بعتاء ، أو حديث ، أو حتى القُبلة بما يعتبره المفضل إهانة له .

بعض الأبناء يمنحهم الله مواهب فطرية : كمكارم الأخلاق ، التقوى ، العلم ، الذكاء المفرط ، لتفضيل هؤلاء ينبغى على الآباء أن يسلكوا سبيل الحكمة ، ولا نخال أن يعقوب كان يخفى عليه هذا المعنى، ولكن ماذا يفعل الإنسان يغريزته، وقلبه، وروحه؟! يستطيع أن يحول دون سلطانها على جوارحه؟! كلا، فقد كان رسول الله يقسم بين نسائه بالعدل، من حيث المبيت، بيد أنه كان يحب عائشة أكثر من كل نسائه فمن ثم كان يقول : «اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » أخرجه البخاري .

« إن يوسف وأخاه على التوالي أصغر أبناء يعقوب الاثنى عشر ، وإنه لشيء طبيعي أن ينال صغار الأبناء من المحبة والرعاية . لاستحقاقهم لذلك وحاجتهم له أكثر من كبارهم . لقد كان خليفاً بإخوة يوسف، أن ينظروا إلى هذه المسألة من هاتين الزاويتين . والذي حدث هو أنهم نظروا إلى المسألة نظرة عقلية صرفة ، إنهم يجعلون يوسف وأخاه في كفة ، وهم جميعاً في كفة أخرى . ومن زاوية هذه النظرة العقلية ، هم يستحقون ما لا يستحق يوسف وأخوه .

إن يوسف وأخاه اثنان ، وهم عشرة ، والعدل في نظرهم يقضى بالآ ينال الاثنان ما ينال العشرة ، فكيف إذا كان نصيب الاثنان أكثر من نصيب العشرة ؟!

وإن نظرتهم العقلية ، تجعلهم ينكرون هذا الحب . لهذين الغلامين الصغيرين ، اللذين لا يجلبان نفعاً ، ولا يدفعان شراً : بينما هم العشرة ، الذين تعصب بهم الأمور ، وتدفع بهم الشدائد لا ينالون حظاً كما ينال الاثنان ، والاثنان فقط « من كتاب « تأملات في سورة يوسف » .

## انتصار رأى الشيطان فى أبناء يعقوب

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ ﴾ (٩)

إِنَّا نُرِيدُ عِقَابَهُ ، حَتَّى يَتُوبَ وَيَسْتَبِينَ ٢٨  
فَلَنَقْتُلَنَّ غُلَامَهُ حَتَّى نَكُونَ الْفَاقِئِينَ ٢٩  
إِذَا مَا قَتَلْنَا حَبَّهُ يَهْدَأُ هَدُوءَ الْمُسْتَكْرَهِينَ ٣٠  
وَنَقُوزُ بِالْحُبِّ الَّذِي لَمْ نَلْقَهُ طُولَ السِّنِينَ ٣١  
وَكَسُوفَ نَعْدُو بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِدَادِ الصَّالِحِينَ ٣٢

بعد أن اقتنع أبناء يعقوب، بعد الحوار الهامس، بخطأ أبيهم ، وأن ما وصفوه به من الضلال لم يعترض عليه أحد منهم .. إذن فكلهم متفقون على رأى واحد .. لذلك فرروا بالإجماع معاقبة أبيهم ، قد قرروا معاقبته ، ولكن بطريقة غير مباشرة .. كيف .. ؟ !

تلك العقوبة هى : إبعاد يوسف من حياة أبيه ، وبأى وسيلة ممكنة ، دوغما تدبر لما سوف يترتب على هذا التصرف من آثار سيئة ، وعواقب وخيمة .

فما داموا قد ارتضوا جميعاً هذا القرار - معاقبة أبيهم - إذن فلم يبق أمامهم سوى الاتفاق على صورة العقوبة ، كيف .. ؟ ! وبأى شكل .. ؟ !

وبعد لحظات من الصمت ، كان كل واحد منهم يفكر فى صورة العقوبة ، وإذا بقائلهم يقول :

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ... ﴾ . يالله !! إنهم يريدون معاقبة أبيهم ، ولكن فى شخص حبه يوسف .. إذن فالعقوبة بالنسبة لأبيهم معنوية ، صورتها آلام وأحزان ، أما العقوبة الحقيقية ، فهى التى سوف يوقعونها بيوسف البرىء، الخالى الذهن عن أحقادهم وعدائهم وتدبيرهم .. إنه ضحية ، ولا ذنب له فى هذا كله ، إلا أن أباه أحبه ، فكان حب أبيه وبالأعلى عليه ، فصار بهذا كأصبع النادم حينما يعضه أسفاً وحسرة كما قال الشاعر العربى :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكمو : فكاننى سبابة المتنم

لقد اتفقوا جميعاً على هذا الرأي القائل ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ . .﴾ إلخ، ومن ثم فاستطيع أن أقول: إن الشيطان كان معهم في جلستهم التي اتخذوا فيها ذاك القرار ، بل كان سيد الجلسة، يتحدثون بما يرضيه ، ولا يزال يزين جريمتهم ، ويصور لهم النتيجة الحسنة التي يتمنونها جميعاً ، ظل يوسوس لهم حتى انتصر رأى الشيطان في نفوسهم وراءوسهم ، على رأى الإيمان . . وإن جمعاً ينتصر فيه رأى الشيطان لهو جمع ضال تائه !!!

وكم للشيطان من انتصارات حققها، لا سيما بشأن انبياء الله ، فقد انتصر قبل ذلك على جمع الضلال ، أولئك الذين قرروا إلقاء إبراهيم في النار !! وانتصر بعد ذلك على جمع أشد ضللاً، أولئك الذين اجتمعوا في دار الندوة، فقرروا قتل محمد (١) ﷺ . . وفي كل مرة تكون الهزيمة في النهاية للشيطان وأعوانه . . لقد تصور إخوة يوسف ، بتفكيرهم القاصر أنهم حينما يبعدون يوسف من حياة أبيه ، سوف يخلو وجهه لهم ، فمن ثم لا يجد أمامه سواهم، وبالتالي سوف يمنحهم حبه الذي حرموه . . ولم لا ، فذلك شيء منطقي ومعقول كما تصوروا . . إنهم يشعرون بالظلم لذلك الحب الذي يؤثر به ولديه يوسف وأخاه بنيامين ثم قالوا: وبعد أن نتخلص من يوسف : إما يقتله أو تغريبه ، سوف نتوب إلى الله ، فنكون قوماً صالحين، مصلحين لأعمالنا بما يكفر إثمها ، فيرضى عنا أبونا ، ويرضى عنا ربنا !!!

(١) اجتمع مشركو مكة في دار الندوة ، للتشاور في أمر رسول الله ﷺ ، جاءهم إبليس في صورة رجل شيخ ، مدعياً أنه من أهل نجد ، قال إنه سمع بالذي اجتمعوا له ، وأراد أن يشاركهم الرأي والنصيحة ، فأذنوا له . . وفي هذا الاجتماع اتفقوا على قتل محمد ﷺ ، كما هو مذكور في السيرة النبوية . ابن هشام ، ابن كثير ، تغريدة السيرة النبوية . للمؤلف .

## منطق العقل يهزم رأى الشيطان

﴿ قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾

لَكِنَّ أَكْبَرَهُمْ يَقُولُ ، وَكَانَ ذَا عَقْلٍ فَطِين ٣٣  
لا ، لا أوافقكم على قتل الغلام المستكين ٣٤  
يا إخوتاه لتعلموا ، فالقتل فعل المجرمين ٣٥  
والرأى عندي فاسمعه ، ولا تكونوا معرضين ٣٦

حينما قرروا قتل يوسف جميعهم .. ران على جمعهم ظل من الكآبة والرهبة ، لقد شل تفكيرهم ، فلا تسمع أحداً منهم ينبس ببنت شفة .. صمت رهيب خيم عليهم ، فكأنما على رؤوسهم الطير ، ولم لا ، فالأمر جد خطير .. ذلك لأن القرار الذى اتخذوه بقتل يوسف ، قد يكون سهلاً ، لأنه قول يقال فحسب .. أما التنفيذ فهو الأمر الصعب ، هو الممارسة الفعلية لجريمة القتل .. وبعد لحظة صمت قصيرة فى قياس الزمن ، بيد أنها كانت طويلة ، طويلة جداً فى نفوس القوم ، لما صاحبها من أحاسيس وأفكار وانفعالات شتى .

بعد هذا الصمت الذى ساد مجلسهم ، إذا صوت أحدهم قد بدد السكون المخيم عليهم .. إنه أخوهم الأكبر ، إنه يعترض ... يالله !! لقد استيقظ ضميره قبل فوات الأوان فقال : إني أعارض يا إخوتي على هذا القرار ... قرار قتل يوسف ، بل أعارض على مجرد التفكير فى قتل يوسف ، ما ذنب هذا الغلام ... ؟! لا تقتلوه يا إخوتي ، فالقتل جريمة ينهى عنها رب السماء ، ولا يأتيها إلا المجرمون ، أفتريدون أن تكونوا مجرمين ؟! لا ، وألف لا .

لقد فوجئوا باعتراض أخيه ، فتوجهوا كلهم نحوه ، تعلقت أبصارهم به ، ثم قالوا له : فماذا إذن ؟! لقد كانوا جميعاً متحيرين ، لقد أعمامهم الحق ، فقرروا قتل يوسف ، ولا عجب ، فجناية قتله لم تكن مقصودة لذاتها ، والمقصود هو إبعاد يوسف فقط بالموت أو بالحياة سيان !!! فمن ثم كانوا فى حاجة إلى من يرددهم ، ويوجههم إلى صواب كانوا يفتقدونه ، ورُشد كان غائباً عنهم .

قال ابن كثير فى تفسيره : « ﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ أى ، لا تصلوا فى عداوته

وبغضه إلى قتله ، لم يكن لهم سبيل إلى قتله لأن الله تعالى كان يريد منه أمراً لا بد من إتمامه وإتمامه ، من الإيحاء إليه بالنبوة ، ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها ، فصرفهم الله عنه بمقالة روبيل ، وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب .

قال الأستاذ أحمد بهجت في كتابه القيم : « أنبياء الله » استمر الحوار بعد فكرة البئر ، غير أنهم كانوا يعودون إليها كحل من أسلم الحلول ، انهزمت فكرة القتل ، واختيرت فكرة النفي والإبعاد ، كانت أذكى فكرة .. نفهم من هذا أن الإخوة رغم شرهم وحسدهم ، كان في قلوبهم ، أو قلوب بعضهم بعض خير لم يمت بعد .

قال تعالى : ﴿ قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ... ﴾ . إن هذا الأخ ، وضع الله تعالى في قلبه كمية ضئيلة من الود ليوسف ، ليرفض بشدة الرأيين ، ويعتبرهما قتلاً ، سواء في ذلك قتل يوسف بطريق مباشر أو غير مباشر ، ومن ثم هو ينهاهم بقوة ووضوح ، واستقامة عن التورط في جريمة قتل نفس ، حرم الله قتلها إلا بالحق .

وما معنى أن يسوى هذا الأخ بين الرأيين ، ويجعل الطرح أرضاً بمنزلة القتل المباشر ؟! مع أنه من المحتمل أن ينجو الغلام يوسف من الأرض المهلكة .

وهذا الاحتمال وإن كان ضئيلاً جداً ، إلا أنه يظل يزاحم الاحتمال الراجح ، فلا يجعله وحيداً ، ولكن شبه وحيد ، ولا يجعله أكيداً ولكن شبه أكيد . من كتاب « تأملات في سورة يوسف » .

## استبعاد فكرة القتل والاكتفاء بالقاء في الجب ﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٠)

فِي قَعْرِ جُبٍّ أَنْزَلُوهُ ، وَعَنْهُ عُدُّوْا قَافِلِينَ ٣٧  
بَعْضُ الْقَوَافِلِ عَلَيْهِمْ إِذْمًا يَكُونُوا رَاحِلِينَ ٣٨  
إِنْ يَأْتِ وَارِدُهُمْ ، فَسَوْفَ يَعُودُ بِالصَّيْدِ الثَّمِينِ ٣٩  
هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الصَّوَابُ ، فَلَا تَكُونُوا جَاهِلِينَ ٤٠

بعد أن اعترض أخوهم الأكبر على فكرة القتل ، ولم يقولوا شيئاً ، لا رفضاً ولا استحساناً ، أردف برأى آخر ، فيه رافة ورحمة دون القتل فقال : إن التخلص من يوسف أمر سهل ، وليس صعباً يا إخوتي ، والرأى الصواب هو : أن نلقيه في البئر ، ثم نتركه فيها ، ولا غرو فإننا حينما نلقيه في البئر ، سوف لا يموت ، والبئر قطعاً تمر عليها القوافل الكثيرة ، غادية ورائحة ، وسوف يأتي ورادهم لأجل الماء ، وحينئذ سوف يعثرون عليه ، وسوف ينتشلونه أيضاً من البئر ، وسوف يفرحون به ، وبالتالي سوف يرحلون به معهم ، إلى حيث لا ترونه بعد ذلك أبداً ، ومن ثم يقتصر حب أبيكم عليكم ، فلا يشارككم فيه أحد .. إذا لا خيار له في ذلك ، لأن حبه ذهب ولن يعود ، هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى ، نكون قد تخلصنا من يوسف ، دون أن نزهق روحه .. فهو غلام صغير ، لا يدري شيئاً مما نعاينه ، ولا شأن له بتفضيل أبيه علينا ، أى إن كان لابد من الخلاص منه . فافتقوا بذلك .

هذا هو الرأى الصواب يا إخوتي ، ولا إخالكم تخالفوننى فى هذا الرأى الصائب الذى يجنبكم ارتكاب جريمة القتل الوحشية .

لقد وافقوا على رأى أخيهما الأكبر ، برفض فكرة القتل ، بل شعروا بارتياح لتلك الفكرة التى أنقذتهم من التورط فى جريمة قتل ، لم يفكروا فى نتائجها ، لم يتدارسوا ما سوف يترتب عليها .

لقد انهزمت فى نفوسهم فكرة القتل ، وأيدوا فكرة أخيهما الأكبر بإلقاء يوسف فى البئر . بالله!! لقد كانت فكرة القتل هى الوسيلة الوحيدة لإبعاد يوسف من حياة أبيه .. ضاق أفقهم وتفكيرهم عن وسيلة غيرها ، فلما وجدوا وسيلة أخرى أخف وأرحم ،

سارعوا بتأييدها . . ولولا أن أخاهم الأكبر ، أشار عليهم بفكرته الأخيرة ، وقد كانت هى طرق النجاة ليوسف ، لأقدموا على قتله ، ما فى ذلك من شك .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى « القصص القرآنى » : « هذا رأى رآه أحدهم فى الأمر الذى دبروه ، وهو الأخذ بأحد التدبيرين اللذين دبروهما للخلاص من يوسف ، وذلك فى قولهم : ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ وهذا الرأى يقضى بالعدول عن القتل ، إلى التطويح به فى مجهل من مجاهل الأرض ، فهذا على ما به أهون من القتل ، وبه يتحقق ما أرادوه من التفرقة بين يوسف وأبيه » .

﴿ وَالْقَوَّةُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهَا بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فما معنى قوله : ﴿ وَالْقَوَّةُ ... ﴾ الحقيقة أن الأخ الذى أطلق هذه الجملة ، كان مدفوعاً بحرارة مناقشة إخوته لهذه المسألة ، إنهم يقترحون قتل يوسف ، أو طرحه أرضاً ، وهو يريد إنقاذ حياة يوسف ، والتخلص منه ، وإرضاء إخوته المندفعين بحماس متطرف ، فلم يشأ أن يستعمل مثلاً جملة « واجعلوه » أو « وضعوه » فلعل الإخوة الحانقين على يوسف ، لا يرضيهم تعبير كهذا ، لهذا جارى إخوته فى ابتداء عرض اقتراحه . فاستعمل تعبيراً مناسباً ، يرضى عنه إخوته المتحمسون ، ليؤكد أن فجوة الانتقال من رأيهم إلى رأيه ليست كبيرة ، وهذه براءة من هذا الأخ ، والذى يدل على أن هذا هو عين المراد أن الآية القرآنية التى تشير إلى عملية التنفيذ تستعمل جملة « أن يجعلوه » فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ ﴾ وبعد إرضاء الإخوة المتحمسين باستعمال جملة « والقوة » تأتى عملية توضيح الفكرة ﴿ وَالْقَوَّةُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ وإنه لا يقول « والقوة فى الجب » وهو البشر التى لما تطو بعد ، فيفهم من ذلك أن المراد إغراق يوسف ، بإلقائه فى ماء الجب ، ولا فرق بناء على ذلك بين الرايين الأول والثانى ، وهذا الرأى .

## أبناء يعقوب يتلطفون مع أبيهم ليعطيهم يوسف

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ (١١)

كَيْفَ السَّبِيلُ لِكَى يَتِمَّ مُخَطَّطُ التَّامِرِينَ ٤١ !  
جَاءُوا أَبَاهُمْ فِي ثِيَابِ الزَّهْدِ كَالْمُتَبَتِّلِينَ ٤٢  
قَالُوا لَهُ قَوْلًا كَذُوبًا ، بَشَسَ قَوْمًا كَاذِبِينَ ٤٣  
لِمَ لَمْ تَتَّقْ فِينَا ، فَلَسْنَا يَا أَبَانَا خَائِنِينَ ٤٤

إن فكرة إلقاء يوسف فى البئر التى أقروها وارتضوها جميعاً ، تعتبر أخف ضرراً من جريمة القتل ، وإن كان من المحتمل أن يموت يوسف فى أعماق البئر ، جوعاً ورعباً إلا أن احتمال الحياة والبقاء ممكن أيضاً ، فى ظل هذه الفكرة .

بعد هذا الاتفاق الإجرامى ، بقى عليهم شئ هام ، وعليه يترتب نجاح الخطة أو فشلها ، ما هو هذا الشئ ؟! عليهم أن يحتالوا على أبيهم ، ليعطيهم يوسف ليذهب معهم إلى الصحراء ، حيث مراعى أغنامهم ، ليتمكنوا من إتمام جريمتهم ، التى ارتضوها وارتاحوا لها .

جلسوا حول أبيهم ، تظاهروا أمامه بالوداعة ولين الجانب ، ودار الحديث بينهم وبين أبيهم ، فى ودّ مصنوع ، وتلطف فيه تكلف ، ثم عرجعوا بالحديث إلى ما يشدونه ، فورد ذكر يوسف على ألسنتهم ، فاثنوا عليه ثناء عاطراً ، وكل واحد منهم أبدى عطفاً عليه ، وحجاً له ، ثم قال أحدهم : وبالنسبة ليوسف ، فإننا يا أبانا عاتبون عليك أشد العتاب ، ذلك لأنك لا تثق فينا ، وبالتالي فلم ترسل يوسف معنا ، لينطلق فى الصحراء ، حيث اللهو البرىء ، واللعب الذى يمد الجسم بالنشاط والحيوية والقوة ، إننا نشعر بالهانة لكونك لا تأمننا على يوسف .

فأى شئ تبينه فى سلوكنا ، جعلك تشك فى أمانتنا ؟!

من سياق الآية نستطيع أن نقول : إن أبناء يعقوب كانوا قد طلبوا من أبيهم قبل ذلك أن يسمح ليوسف بالذهاب معهم ، فأبى ، لذلك قالوا : ﴿ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ .

لقد تظاهروا أمام أبيهم بالبراءة والسذاجة ، ليخدعوه ويستميلوه ، فى حين أنهم

كانوا يخفون فى أعماقهم خبثاً وحقدأ وشرأ ، وتدبيرأ لجريمة ظلت محفوظة فى وعى الزمان ، ولأهميتها ، صاغها المولى عز وجل قرأنا يتلى على سمع الدنيا كلها ، شاهداً على قسوة الإنسان حينما يركب الشيطان رأسه ، ويملاً الحقد صدره ، ولتكون عبرة كل معتبر يتناقلها الناس ، قصة من أعجب قصص البشر .

وأول ما يلاحظ على هذه الآية التى جاءت على لسان الإخوة : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ إن كلامهم الاستفهامى هذا يشوبه شئ كبير من التعجب ، فهم يتساءلون لم لا يأمنهم يعقوب على يوسف ، مع أنهم ناصحون له أمناء عليه .

ونستطيع أن نفهم من قولهم : ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ الذى يعتبر أول كلام مباشر مع يعقوب عن يوسف ، بعد اتفاقهم على الرأى الثالث ، أن هذه هى نظرة يعقوب إليهم بشأن يوسف ، وأن هذا الاستفهام التعجبى منهم ، ليس سؤال امتداد طبيعى لموقف يعقوب ، غير المؤتمن دائماً للإخوة على يوسف ، ذلك الموقف الذى كان لا يقع منهم موقع الرضا ، مع يقينهم بأن ذلك من حق يعقوب ، لأنهم خير من يعلم بحقيقة حسدهم وبغضهم ليوسف .

## أبناء يعقوب يؤكدون لأبيهم حرصهم على يوسف

﴿ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١٢)

هَذَا أَخُونَا يُوسُفُ فِي الْبَيْتِ يَقْعُدُ كَالسَّجِينِ ٤٥  
أَرْسَلْهُ مَعَنَا صُحْبَةَ الْأَغْنَامِ نَغْدُو لِأَعْيُنِ ٤٦  
إِنَّا سَنَحْرُسُهُ ، وَسَوْفَ يَعُودُ عَوْدَ الْأَمِينِ ٤٧

ثم أردف متحدثهم فقال موجها حديثه إلى أبيه الذي يرفض بشدة ، السماح ليوسف بالذهاب مع إخوته : يا أبانا ! إن يوسف لم يرح البيت ، دائماً في جوارك ، لا تدعه يبتعد عنك ، كأنه نزيل سجن ، فاتركه لنا ، أرسله معنا يمارس حياة الانطلاق والحركة ، يلهو مع إخوته وأترابه ، يروح عن نفسه ، ألا تنظر إليه فتراه ذابلاً ، وصحته في هزال ؟! فدعه يخرج يروض جسمه فيتعرض لضحى الشمس وهبوب الرياح .

ولتعلم أننا لن نهمله يا أبانا، سوف نحرص عليه الحرص كله، وسوف نخصه بالنصح الصادق، الخالي من الغش والتقصير، سوف نكون كلنا عيوناً حوله تحميه من كل سوء .

ويبدو أنهم كانوا قد شعروا بتغير أبيهم نحوهم، لا سيما بعد أن رأى يوسف رؤياه، وأيضاً يحتمل أنهم قد علموا برؤيا يوسف : لذلك كان شعورهم بتغير أبيهم نحوهم ، وعلمهم برؤيا يوسف ، عاملين انعكاساً على سلوكهم ، فتذكروا له تنكراً مستوراً ، بيد أن الشيخ استطاع أن يلمحه دون أن يدروا .

والواقع أن شعورهم بارتياح أبيهم في أمانتهم ، جعلهم يقولون هذا القول الذي يوحى لسامعه، أنهم قوم مشكوك في أمانتهم وسلوكهم . فهم بهذا يدفعون عن أنفسهم تهمة معلنه . ثم أردفوا قائلين : ﴿ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

عندما نخرج غداً بأغنامنا كعادتنا ، إلى الصحراء حيث مراعى الأغنام ، أعطنا يوسف يا أبانا ، يشاركنا لهونا وانطلاقنا ، في سرور وحرية ، فنأكل ما يطيب لنا من الثمار ، ونتسابق ونتصارع ونرمى بالسهام ، وحينئذ سوف يتيسر ليوسف أن يرى ما لم يكن قد رآه من قبل ، ويعلم ما لم يكن قد علمه أيضاً ، وهو حبيس البيت عندك .

سوف نكون يا أبانا حريصين على يوسف ، أكثر من حرصنا على أنفسنا ، وسوف

نحفظه من كل أذى، يالله!! إنهم يؤكدون حديثهم بالحرص على يوسف، وهذا هو الحال دائماً بالنسبة لكل متحدث ، حيث يشعر أن سامعيه لا يصدقون حديثه ، فإنه يلجأ إلى المؤكدات، وقد يلجأ إلى القسم، في حين أن هذا لا يزيد السامعين له إلا شكاً في حديثه .

قوله تعالى : ﴿ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ لقد لمس الإخوة ببراعة ، مسألة عدم الائتمان ، وأظهروا أن ذلك لا مبرر له ، وقد اتخذوا من كل ذلك توطئة لطلبهم الصريح بأخذ يوسف ، كى يرتع ويلعب ، فإنهم له لحافظون .

هل يستطيع يعقوب أن يرفض الطلب ، مع علمه بأن ذلك قد يكون له رد فعل سيء عند الإخوة ، ويكون سبباً في جعل كيدهم المخشى ليوسف حقيقة؟!!

ومن يدري؟! ربما يكون الإخوة قد تبين لهم خطأ نظرتهم السابقة لأخيهم فعدلوا عنها، وعادوا إلى جادة الصواب، خاصة وأن تعبيرهم في النصيح ليوسف وحفظهم له قوى الدلالة، فنحن بصدد - إن - التي تفيد التوكيد، وقد جاءت مرتين، ولام التوكيد التي جاءت مكررة مرتين كذلك ، أعنى في قولهم « وإنا له لناصحون » و « وإنا له لحافظون » .

وهل معنى هذا أن يعقوب يستطيع أن يلبي طلبهم؟! في الوقت الذي يجد نفسه أميل إلى عدم الائتمان ، لأن تحولهم إلى إظهار المودة ليوسف مفاجئ ، فهم لم يظهروا هذه المودة من قبل ، بل إنهم جعلوا ذلك توطئة لطلبهم السريع بإرسال يوسف معهم في اليوم التالي ، فما السبب وراء هذا التحول المفاجئ؟! هل هناك سرّ يكمن وراء ذلك؟! وما هو هذا السر؟! أهناك شرّ أريد به يوسف؟! وما نوع ذلك الشرّ؟! من كتاب « تأملات في سورة يوسف » صفحة ١٥٣ .

## يعقوب يجعل الذئب ستاراً لتخوفه على يوسف

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ (١٣)

فَأَجَابَهُمْ ، لَا تَأْخُذُوهُ ، أَخَافُ مِنْ غَدْرِ السَّنِينِ ٤٨  
الذِّئْبُ يَأْكُلُهُ ، وَأَخْشَى أَنْ تَكُونُوا غَافِلِينَ ٤٩  
قَالُوا لَهُ : هَذَا الْمَقَالُ يُسَيِّئُنَا فِي الْعَالَمِينَ ٥٠

بعد أن سألوا أباهم أن يرسل معهم أخاهم يوسف، وكان سؤالهم فيه عتاب شديد لأبيهم لكونه لا يأمنهم على أخيه يوسف، وفيه أيضاً تأكيد بالحرص الشديد عليه، وفيه أيضاً مبررات أخرى ، ليسمح ليوسف بالذهاب معهم . فكان جوابه على كل ما قالوه :

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ .

أى إن ذهاب يوسف معكم ، سوف يحزننى ، فإننى أخشى عليه من كل شيء ، ولا غرو فالصحراء مملوءة بالوحوش الفاتكة ، فأخشى أن تغفلوا عنه وأنتم تلعبون وتمرحون ، فينقض عليه أحد الذئاب الكاسرة فيأكله .

هكذا نرى يعقوب ، لم يفصح لأولاده عن حقيقة شكوكه فى أمانتهم وسلوكهم ، فى عدم اطمئنانه لإرسال يوسف معهم ، بل لجأ إلى وسيلة أخرى هى : الخوف من الذئب ، وهذا أمر محتمل الوقوع ، بيد أنه بعيد جداً ، ولكن الشيخ جعله ستاراً أخفى وراءه حقيقة شعوره وتخوفه منهم ، هم على يوسف . يالله !! إن ذكر يعقوب للذئب ، فتح الباب أمام أبنائه ليدافعوا عن أنفسهم ، وليؤكدوا حرصهم وتفانيهم جميعاً فى حماية يوسف ، من أى أذى يصيبه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنهم قد وجدوا السبب الذى يتذرعون به لأبيهم ، حين يعودون له بغير يوسف .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى « القصص القرآنى » « ولتلقط أبناء يعقوب من فم أبيهم قوله : ﴿ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ ويتخذون من هذا الذئب المتخيل ، حقيقة يضعونها بين يدى أبيهم بعد أن يمضوا أمرهم فى يوسف ، ثم يجيئون إلى أبيهم بتأويل ما توقعه . . لقد أكله الذئب كما توقعت !! » .

قال القرطبي في قوله : ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ « وذلك أنه - أي يعقوب ، رأى فى منامه أن الذئب شد على يوسف ، فلذلك خافه عليه قال الكلبي : وقيل إنه رأى فى منامه كأنه على ذروة جبل ، وكأن يوسف فى بطن الوادى ، فإذا عشرة من الذئاب قد احتوشته ، تريد أكله ، فدرأها عنه واحد ، ثم انشقت الأرض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام ، فكانت العشرة إخوته لما تمالأوا على قتله ، والذي دافع عنه أخوه الأكبر يهوذا ، وتواريه فى الأرض ، هو مقامه فى الجب ثلاثة أيام ، قيل : إنما قال ذلك لخوفه منهم عليه ، وأنه أرادهم بالذئب ، فخوفه إنما كان من قتلهم له ، فكفى عنهم بالذئب مسطرة لهم ، وإنما خاف الذئب لأنه أغلب ما يُخاف فى الصحارى » .

قال الزمخشري : اعتذر إليهم بشيئين : أحدهما : أن ذهابهم به ومفارقتة إياه مما يحزنه ، لأنه كان لا يصبر عنه ساعة ، والثانى : خوفه عليه من الذئب ، إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم .

قال الدكتور حسن محمد باجوده فى كتابه - تأملات فى سورة يوسف - « ولو أن نية الإخوة حسنة ، ولم يكونوا مصممين على الغدر بيوسف ، لكان فى جواب يعقوب الأقرب إلى الرفض ، صارف لهم عن طلبهم أخذ يوسف ، وحافز لهم على العدول عن هذه الفكرة أساساً ، التى لم يرتح لها يعقوب أصلاً ، وبما أنهم مصممون على أمر ما ، يتعلق نجاحه على ذهاب يوسف معهم ، لذلك استمروا فى الكلام ، مصرين على الطلب » .

## أبناء يعقوب يقولون : لن يأكله الذئب ونحن عصابة

﴿ قَالُوا لَنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ (١٤)

تَاللَّهِ إِنْ يَأْكُلْ أَخَانَا الذِّئْبُ ، صِرْنَا خَاسِرِينَ ٥١  
إِنَّا رَجَالٌ أَقْوِيَاءُ نَقِيهِ شَرَّ الْكَاسِرِينَ ٥٢  
كَذَّبُوا لَقَدْ خَانُوا الْأَمَانَةَ ، لَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ ٥٣

قال أبناء يعقوب لأبيهم : إنك يا أبانا بهذا القول تهيننا إهانة بالغة ، فأى ذئب هذا الذى يستطيع أن يصل ليوسف ، ونحن عصابة عشرة رجال ، وما نحن فى نظرك إذا إلا عصابة من النعاج أو الأطفال . . . إن الذئب لا يمكن أن يقترب من مكان فيه رجال ، وإنما يقترب من الأغنام : الضأن والماعز التى لا راعى لها .

لقد خسرنا وخبنا إذاً ، إذا كان الذئب يحوم حول المكان الذى نرعى ونلعب فيه . . لا لا يا أبانا ، فنحن كفاء لحماية أختنا يوسف من كل الكواسر ، وإذا كنا لا نقدر على دفع الذئب عنه ، فنحن إذاً والله أعجز من أن ندفعه عن أغنامنا .

والواقع أنهم كانوا يظهرون غير ما يظنون ، إنهم يحتالون على أبيهم ويبدون له حرصهم وحديثهم على يوسف ، وهم فى الوقت نفسه قد بيتوا له الغدر ، وقد صدق فيهم قول الله تعالى فى الحديث القدسى : « لقد خلقت خلقاً ألتستهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر فبى حلفت . . إلخ » (١) .

قال الأستاذ أحمد بهجت فى كتابه : « أنبياء الله » أهذا معقول ؟! نحن عشرة من الرجال ، فهل نغفل عنه ونحن كثير ؟! نكون خاسرين غير أهل للرجولة ، لو وقع ذلك ، لن يأكله الذئب ، ولا داعى للخوف عليه .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى « القصص القرآنى » : ولهذا فهم يقفون مع أبيهم من أمر هذا الذئب موقف التحدى ، وأن الذئب لا يجرؤ أن يقترب من حماهم ،

(١) عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى قال : لقد خلقت خلقاً ، ألتستهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، فبى حلفت لأتحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيران ، فبى يفترون ؟! أم على يجتروون ؟! » أخرجه الترمذى ( ٢٤٠٥ ) ، وقال : « حسن غريب » .

وهم عشرة رجال . . . ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَلْخَاسِرُونَ ﴾ اللام للقسمة ، أى والله لئن أكله الذئب ونحن جماعة أقوياء أشداء ، إنا لمستحقون أن يدعى علينا بالخسار والدمار .

فهذا رد على اتهام من أبيهم بالغفلة وسوء الحفظ ، لما معهم من أنعام ومتاع ، حتى لتغشاهم الذئاب ، وتعيث فساداً فى ماشيتهم ، ذلك بعد اتهامهم بالتهاون وعدم الحرص على سلامة أخيهم .

على كل حال ، لقد ائتمنهم أبوهم على أخيهم يوسف ، فخانو الأمانة ، وتلك لعمر الله وصمة عار يندى لها جبين الإنسانية ، وعاما التاريخ في ذاكرته الحافظة ، ولهولها وفظاعتها وغرابتها ، ذكرها القرآن فى محكم آياته . . . فكون عشرة رجال : أولاد نبى مرسل يفعلون هذا الفعل المخزى المخجل ، فإن جبين الإنسانية لا يندى فحسب ، بل يتوارى حياءً وخجلاً .

« لماذا أغفل الإخوة حديث يعقوب عن ذات نفسه ، وركزوا كل جوابهم على الذئب وذات أنفسهم ؟! والجواب على ذلك ، أن الأخوة الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، كان كلام يعقوب ﴿ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ بالنسبة لهم طعنة بلغت عمق أعماقهم ، لأن هذا القول يبلور السبب الذى من أجله ، هم يحسدون يوسف كل ذلك الحسد ، ألا وهو حب يعقوب غير المتناهى له .

وهم قد أدركوا تمام الإدراك ، أن العبارة قد تخونهم لو حاولوا الرد على يعقوب ﴿ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي ... ﴾ لأنهم يبغضون الحديث فى هذه المسألة بالذات ، وقد عدلوا إلى الحديث عن الجزئية الأخرى - تخوفه على يوسف من الذئب - تأملات فى سورة يوسف .